المحاضرة التاسعة

نظرية الخلق

مقدمة:

ظهرت نظرية الخلق أواخر القرن 19 بفرنسا وإنجلترا، وكانت نتاجا لفلسفة (الفن للفن) التي نادى بها "**أندرو سيسيل برادلي**، جاءت كرد فعل على تحول الفن إلى سلعة في العالم الرأسمالي، إنها في حقيقة الأمر نقد واحتجاج عنيف إلى ما آل إليه الأمر من تردي، حيث نادت بالفن الخالص الذي يرفض ارتباطه بأي شيء ملوث، لذلك رفضت أن يُوظف الأدب والفن في خدمة أغراض معينة.

لذلك نادت بالفن الخالص أو الفن الحقيقي الذي يرفض أن يوظف في خدمة أهداف نفعية، و أن تكون غايته في حد ذاته، و مقياسه هو مدى قدرته على إثارة الحاسة الجمالية للمتلقي.

1-الخلق لغة واصطلاحا:

وردت مادة (خ ل ق) في اللغة بمعنى: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه... والحَلْقُ:التقدير، والخَلْقُ: الكذب.

أما في الاصطلاح: فالخلق الفني هو إدراك الجمال في ذاته، وإدراك لما هو مميز في العمل، وما يفرق بينه وبين الأعمال المماثلة، فهي إذا تمجد لذاتها وكيفية تناولها لا التجربة لثمرتها ونفعها.

2- أعلام نظرية الخلق ومقولاتها الكبرى:

تستند إلى الفلسفة المثالية الذاتية بل المفرطة في الذاتية، و من أعلام هذه النظرية:

- **إيمانويل كانت** E.Kant(1724-1800) الذي يرفض الفن إذا ارتبط بأي منفعة أو فائدة أو غاية. فهو يقول: " أن لكل شيء غاية إلا الجمال فأمامه تحس بمتعة تكفينا السؤال عن الغاية و لو وجد عالم ليس فيه سوى الجمال لكان غاية في حد ذاته "، فالعمل الإبداعي مرهون بالصورة الجمالية التي تحقق غايته الكبرى.

- **هيغل Hegel**(1770-1831) يرى أن مضمون الفن يتمثل في فكرة **الجمال** المستقلة مهما يكن مظهره الاجتماعي أو العملي الأجناسي.

- **تيوفيل جوتييه**" يرى بأن الفن ليس وسيلة بل غاية في حد ذاته لذا فهو مستقل تماما كما يقول: " لا وجود لشيء جميل إلا إذا كان لا فائدة منه وكل ما هو نافع قبيح."

- **بودلير(1821-1867)** أول من قال بفكرة الفن للفن و الذي يرى بأن موضوع الشعر هو الشعر نفسه، وأن الشاعر العظيم هو الذي يكتب لمجرد المتعة فقط .

3- مرتكزات نظرية الخلق:

تقوم نظرية الخلق على أسس ومحاور تربط بين الصفة الإبداعية ومدى تحققها، وتظهر فيما يلي:

أ- علاقة الشعر بالحياة:

يرى برادلي أن الحياة تملك الحقيقة ولا ترضي الخيال أما الشعر فانه يرضي الخيال ولا يمتلك الحقيقة الكاملة لذاك فالشعر ليس هو الحياة بل هما ظاهرتان متوازيتان لا تلتقيان، وإذا حدث تقاطع بينها فسد الأدب،لأنه سيصبح موجهاً لغاية أخرى من غايات الحياة، ويختل الجانب الجمالي فيه، غير انه يعود فيؤكد أن بين الشعر والحياة اتصال خفي ويضيف بأن التجربة الشعرية غاية في ذاتها وقيمتها هي قيمتها الذاتية. والحكم على الشعر يفرض دخول التجربة وتتبع قوانينها وأن ننسى ما يربطنا بعالم الواقع، والفن لا يجب أن يوضع مقابلا للمنفعة الإنسانية لأن العمل الفني الناضج بحد ذاته منفعة.

ب- علاقة الشعر بالموضوع:

فلا قيمة للموضوع، أو المحتوى، المهم هو كيف استطاع هذا الشاعر أن يحول هذا الموضوع الذي اختاره من موضوع خارجي إلى عمل فني، فالموضوع لا يمنح العمل الأدبي أية قيمة، فالفرق بين الشعراء حين يكتبون في موضوع واحد دليل على أن الخلق الفني يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الأديب وقدراته الفنية ومدى سيطرته على تجربته وتمكنه من عناصر فنه. وليس بالضرورة أن يكون اختيار التغني بالوطن والبطولات القومية موضوعا لقصيدة ما ابلغ من اختيار موضوع أخر كالتغني بالأزهار مثلا.

ج- علاقة الشعر بالعواطف و الانفعالات :

العمل الفني ليس نتيجة للشعور والمشاعر والعواطف وإنما قيمة العمل الأدبي تكمن في قوة الابتكار والخلق الأدبي التي تتمثل في جعل اللغة قادرة على الإيحاء وامتلاك قوة التأثير.

فهناك قصائد تكتب في موضوع واحد وتجربة واحدة ومناسبة واحدة وتصدر عن عاطفة واحدة لكنها تتفاوت في جودتها فواحدة جيدة وأخرى رديئة... والسبب يرجع إلى قدرة الشاعر على الخلق الفني فالعواطف والتجربة والموضوع والمناسبة لا تؤثر في القيمة الفنية للعمل .

د- علاقة اللغة بالخلق الفني:

العمل الأدبي كائن خلقه الشاعر من ذاته واللغة مادة الأدب أما معنى الخلق الفني فهو سيطرة الأديب على اللغة مما يضيفه عليها من ذاته وروحه، واللغة وسيلة الأديب للخلق الأدبي، فاللغة هي المادة الخام والذي يحدد قيمة العمل الأدبي هو العلاقة التي تنشأ بين اللغة والتجربة الشعورية والفروق الدقيقة التي نشأت من هذه العلاقة.

هـ- العمل الأدبي خلق حر:

يرى **كروتشيه** بأن الفن حدس خالص أو صور خالصة متجردة من الفلسفة أو التاريخ أو العلم بل ومن الأخلاق واللذة وهي مستقلة عن أي غاية عملية أو نفعية فالفن خلق حر، حيث يقول: " أن الفكر وسيلة للحياة لكن الحياة تصبح في لحظة ما وسيلة وأداة للفكر نفسه. فما من شاعر يخلق أثره حرا من

شروط الزمان والمكان ولكن متى تم خلق القصيدة فقد أضيف إلى الوجود عنصر لم يكن موجودا من قبل ".

و- **المعادل الموضوعي/ الفن خلق موضوعي:**

ليس الشعر تعبيرا عن المشاعر والعواطف والانفعالات بل هروب منها وليس تعبيرا عن الذات أو الشخصية بل فرار منها. إن الشعر خلق بهذه المقولات يقدم **ت . س .اليوت** مفاهيم جديدة لما يسميه "الفن الموضوعي" و يوضح عملية الإبداع الفني فيقول "ليس على الشاعر أن يبحث عن انفعالات جديدة وإنما عليه أن يستعمل الانفعالات الموجودة بالفعل ليخرج منها إحساسات ليست في الانفعال العادي بالمرة" ويقصد أن الشاعر لا يجب أن يعبر عن انفعاله بشكل مباشر حين يتأثر بموضوع ما ولكنه مطالب بالبحث عن معادل موضوع يوازي تجربته بحيث يحول عواطفه وافكاره إلى مركب جديد، وبذلك يكون له شخصيتان الأولى **تنفعل** والثانية **تحوّل الانفعال إلى أدب.**

إنّ الشاعر ينفعل بموضوعه ويتعاطف معه وعليه ألاّ يعبر عن انفعاله بل أن يوجد له معادلا موضوعيا يساويه ويوازيه ويحدّده، ويعين المبدع في ذلك عقله ، وتعينه في تجسيد انفعاله لغته، أي أنّ على المبدع أن يحوّل عواطفه إلى مركب جديد.